Council on Foreign Relations
March, 2006
Interview

Yacoubian: Syria Seems to Believe Pressure For Change Easing.
March 10, 2006

انحسار الضغوط عن سوريا

أجرى المقابلة المحرر المستشار Bernard Gwertzman
مقابلة مع منى يعقوبيان.

تقول منى يعقوبيان، المختصّة بشؤون الشرق الأوسط، والتي ساعدت بتأليف دراستين عن سوريا لمؤسسة الولايات المتّحدة للسلام، (United States Institute of Peace) أنّه كان هناك توقعات عالية في السنة الماضية بأنّ الولايات المتّحدة كانت تحضّر لإتخاذ إجراءات صارمة ضد سوريا، لكنّها تقول بأنّ التحقيق في الدور الموهوم لسوريا في إغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، يتباطأ بشكل مثير.
" لقد كان التقرير الأولي للأمم المتّحدة في تشرين الأوّل الماضي مفاجأة مذهلة من عدّة نواحي " تقول يعقوبيان، وهي محللة سابقة في وزارة الخارجيّة. " لقد كان هناك بالطبع عدد من المحللين الذين كانوا يعتقدون أنّ الخناق يشتد حول النظام السوري، ومن أنّ ما يراه المرء الآن هو أنّه لم يتم المحافظة على الضغط ". وتقول يعقوبيان عن النشاطات السوريّة الأخيرة، في سوريا والخارج، " يبدو أنّ السوريين لا يعتقدون أنّ لديهم ما يخافونه حقاً في هذا الوقت ".

س: يبدو أنّ خبر التحقيق بجريمة إغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري لم يعد يتصدّر العناوين الإخباريّة. ما هو الوضع في سوريا الآن؟
ج: لم لا أعرض لك أوّلاً أين وصلت الأمور الى مع تحقيق الأمم المتّحدة والذي أعتقد أنّه يلقي بعض الضوء على أين وصلت الأحداث في سوريا.
لقد كان هناك تقريراً ثابتاً للجنة التحقيق في إغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري وقد نُشِرَ في منتصف كانون الأوّل والذي يؤكّد، بشكل مهم للغاية، التدخل السوري المستمر بتحقيق الأمم المتّحدة، وخصوصاً ذلك التقرير الذي يتّهم سوريا بتدمير الأدلّة وبتهديد الشهود، ويتابع التقرير تأكيده بأنّ هناك أسباب محتملة للتورّط السوري واللبناني في ذلك الإغتيال. وتمّ التمديد للمكلّفين بالتحقيق مدّة ستّة أشهر، ثمّ سُلِّمَ سير التحقيقات الى المدعي العام البلجيكي Serg Brammertz الذي يتابع التحقيق الآن على الأرض.

س: لقد قام بزيارته الأولى الى سوريا منذ أسبوعين فقط، أليس كذلك؟
ج: هذا صحيح، وبذلك تكون الأمور قد بدأت فقط عقب رحيل Detlev Mehlis المدعي العام الألماني الذي كان رئيس المحققين الأوّل.

س: وقد كان هناك في سوريا نفسها تعديل وزاري للقيادة العليا، أليس كذلك؟

ج: هذا صحيح، وإنّ الوجه الأكثر بروزاً لذلك التعديل الوزاري، هو تعيين وزير الخارجيّة الأسبق فاروق الشرع نائباً للرئيس، وهناك البعض ممن قرأ ذلك التعيين على أنّه نفوذ أو سلطة تم تخصيصه بها، ورأى آخرون أنّ ذلك يبدو كطريقة للتخفيف من سلطته ومن تأثير مركزه.

س: لقد وزيراً للخارجيّة لوقت طويل.
ج: أجل، لقد كان كذلك. ويُشار إليه كشخص يملك رؤى معادية لأميركا، قويّة جداً، وهنام من يعتقد أنّ هذه الرؤى كان لها تأثير على الرئيس بشار الأسد. وتم ملئ منصب وزير الخارجيّة بوليد المعلّم، الذي كان سابقاً سفيراً لسوريا في الولايات المتّحدة. ويقرأ البعض تلك الحركة كدلالة على عزم سوريا على بث الحرارة بشكل ما في المفاوضات أو الديبلوماسيّة مع الولايات المتّحدة.

س: ماذا حصل للإثنين الكبار، آصف شوكت، صهر الرئيس الأسد، وماهر الأسد، أخيه، هل لا يزالان المستشارين الكبار له؟
ج: إنّهم يحتفظون بمناصبهم. لقد كان هناك تقدير بأنّ آصف شوكت، الذي يمسك بموقع كبير جداً في الدائرة الداخليّة (للرئيس الأسد) ، كان أحد الشهود الذي تسعى الأمم المتّحدة لمقابلته، إلاّ أنّها لم تنجح في ذلك.

س: إنّه رئيس المخابرات العسكريّة، هل هذا صحيح؟
ج: نعم.

س: كان هناك تصريح يوم الأحد يقول أنّ سوريا تعهّدت بالتعاون الكامل مع التحقيق الدولي، إلخ... هل أنّ ذلك هو فقط للإستهلاك الشعبي أم أنّه إشارة لتغيير ما؟
ج: من الصعب الإجابة على ذلك. إنّي أعتقد أنّ تعيين وليد المعلّم في منصب وزير الخارجيّة هو أمر هام، من حيث أنّه قد يحمل إشارة أكيدة على رغبة السوريين- الذين يتحسسون ضغط الولايات المتّحدة- للتوصّل الى تعاون أكبر أو على الأقل تعاون كاف لتفادي الضغط الخارجي الإضافي. وقد أدلى بشار الأسد نفسه بخطاب جريء تماماً في سوريا. وقد ظهر في ذلك الخطاب أنّه يرفض اللجنة (لجنة التحقيق) لأنّها فشلت بطريقة أو بأخرى- وقال أيضاً أنّه يعتقد بشكل أساسي أنّ الضغط إنتهى وأنّ اللجنة لن تجد أيّة معلومات أخرى ضدّه وبأنّ التحقيق كان إخفاقاً تاماً. وبذلك يكون لديك وجهين مختلفين لهذا الأمر.

س: لقد تعرّض بشار الأسد لإنتقادات محليّة، أليس كذلك؟ ولاحظت أنّه أغلق بعض مكاتب حقوق الإنسان.
ج: هذا صحيح، إذ يبدو أنّ في سوريا شعوراً مستمرا بالضغط، وربما يطال ذلك الشخصيات المعارضة البارزة في سوريا، وهؤلاء هم نافذة الخلاص التي قد يتم إغلاقها.

س: والآن طبعاً لا يمكنك التحدث عن سوريا دون التحدث عن لبنان، فبعد كل شيء، كانت هذه المواجهة الكاملة مع سوريا قد إبتدأت مع إغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، وأصبح اللبنانيون منذ ذلك الحين، ومن خلال ضغط الولايات المتّحدة وفرنسا على مجلس الأمن، قادرين أن يجعلوا الجيش السوري، الذي كان موجوداً في لبنان لسنوات طويلة، ينسحب. ما الذي حصل للنظام السياسي اللبناني؟
ج: حسناً، إنّ النظام السياسي اللبناني لا يزال منقسماً كما أنّه هش تماماً نتيجة التوترات الطائفيّة الحادة التي يتسم بها البلد. وهناك حوار مستمر بين الأفرقاء المختلفين.

س: لقد تمّ تعليق الحوار الوطني عندما قام وليد جنبلاط، الزعيم المعارض ورأس المجتمع الدرزي المؤثّر، بزيارة الى الولايات المتّحدة. وسوف يتم إستئناف الحوار في الأسبوع المقبل.
ج: إنّي أعتقد أساساً أنّ السياسية اللبنانيّة لا تزال في طريق مسدود. إذ هناك أولئك الذين يسعون للإطاحة بالرئيس إميل لحود المعتبر حليفاً قوياً للسوريين، لكن مرّة أخرى، ليس هناك من تماسك حقيقي، في الواقع، حول ذلك الطلب ليظهر

التغيير. ولذلك، فإنّي أعتقد بالنتيجة أنّ السياسة في لبنان لا تزال، وبشكل كبير، في طريق مسدود، وليس واضحاً كيف ستكون الأمور هناك (لبنان).

س: هل أنّ الفرق المختلفة- المسيحيون، السنّة، الشيعة، حزب الله- تحاول، كلّها، ما هو الإئتلاف الذي يمكنه العمل معاً أم ماذا؟
ج: حسناً، مرّة أخرى، أعتقد أنّ هناك أولئك الذين لا يزالون يريدون العمل مع الحكومة السوريّة- وأستطيع القول بالتحديد حزب الله والشيعة- ومن ثمّ ومن الجانب الآخر لذلك السؤال، فإنّ هناك سداً من المجموعات اللبنانيّة التي تسعى للتخلّص أكثر من النفوذ السوري في السياسة. وإنّ هدفهم الأوّل في هذا الوقت هو الإطاحة بالرئيس لحود، وليس واضحاً الى الآن ما إذا كان لديهم مرشّح آخر للرئاسة أم لا.

س: هل لديك معلومات ما عما أنجزه جنبلاط بزيارته الى واشنطن؟
ج: كلا، على الإطلاق، على الرغم أنّي أعتقد أنّ رمزيّة هذه الزيارة قد تكون مهمّة، لأنّ وليد جنبلاط هو، طبعاً، معارض قوي لسوريا، ولذا فإنّي أعتقد أنّ مجيئه الى واشنطن قد يكون مقصوداً لإرسال إشارة للحكومة السوريّة.

س: وما هو دور إيران في كل ذلك؟ إنّ إيران هي المزوّد الرئيس، من خلال سوريا، لحزب الله، أليس كذلك؟
ج: هذا صحيح. ولا يوجد ما يدل على نقصان ذلك الدور.

س: هل أنّ سياسة الولايات المتّحدة نحو سوريا مجمّدة حالياً، أم ماذا؟
ج: كلا، ففي طرق مختلفة وأكثر رمزيّة، هناك محاولات للإستمرار بوضع الضغوط على الحكومة السوريّة. وكما قلت، فإنّ أحد الأمثلة على ذلك يمكن أن يكون زيارة وليد جنبلاط الى الولايات المتّحدة. أمّا المثل الآخر، فكان إعلان وزارة الخارجيّة في الشهر الماضي عن تخصيص مبلغ 5 مليون دولار- وهي بإعتراف الجميع مبلغ ضئيل، لكنّه رمزي- كهبات لمن يدعونهم بالإصلاحيين والديمقراطيين في سوريا.

س: هذا يشبه هبة بقيمة 75 مليون ولار لهدف مشابه في إيران.
ج: هذا صحيح.

س: هذا يذكرني بأيام الحرب الباردة للتبادل الثقافي. كيف تمّ تلقي موضوع هذه الهبات في سوريا؟
ج: هناك العديد ممن قالوا أنّهم يجدون تمويل الولايات المتّحدة غير مثير، ذلك أنّ المجموعات السوريّة، أساساً، لا تريد قبول تمويل من حكومة الولايات المتّحدة. وتعتقد هذه المجموعات حقاً أنّ جهودها لا يجب أن يتضمّن تمويلاً أجنبياً، بل أنّهم في حاجة للإنسحاب من ذلك الأمر. وأعتقد أنّه ربما كان ذلك رأي أكثريّة أولئك الذين في المعارضة السوريّة.

س: ألم يكن هنالك شعور بعد تقرير الأمم المتّحدة الأوّل الذي صدر في تشرين الأوّل الماضي، أنّ هناك أمراً مثيراً يمكن أن يحدث في سوريا؟
ج: لقد كان التقرير مفاجأة مذهلة حقيقيّة من نواحي عدّة. وكان هناك بالتأكيد، عدد من المحللين الذين كانوا يعتقدون أنّ الخناق يشتد على النظام السوري، ومن أنّ التقرير (قد) يؤدّي الى عقوبات وإجراءات تأديبيّة أخرى. وإنّي أعتقد أنّ ما يراه المرء اليوم هو أنّه لم تتم المحافظة على الضغوط. وبالتأكيد، كما أعتقد، فإنّ هذه هي قراءة الحكومة السوريّة للوضع التي قد تقوم بتفسير بعض هذه الإجراءات في الوطن والخارج، ما يبدو أنّ السوريين لا يعتقدون حقاً أنّ لديهم ما يخافونه في هذا الوقت.

س: إنّ هاجس الولايات المتّحدة الأكبر هو أنّ سوريا كانت، ولسنوات عديدة حتّى الآن، الثغرة التي يتسلل منها المتمردون الى داخل العراق. هل إختلف الأمر كلّه الآن؟

ج: ليس على حد علمي. إنّ ما أفهمه هو أنّه عندما وضعت الولايات المتّحدة ضغوطاً حقيقيّة على ذلك السؤال المعيّن، أذعنَ السوريون وساعدوا على درأ فيض المتمردين. وكان ذلك منذ مدّة قصيرة، أمّا ما إذا كان لا يزال الوضع كذلك الآن أم لا، فإنّي لا أعلم.

س: لقد خرج نائب الرئيس السابق الى العلن في كانون الأوّل، وإتّهم بشار الأسد بتهديد الحريري بقوّة، وهو ما يعتقده كل واحد في لبنان على كل حال. إنّ خدام الآن في المنفى وقد أدين بالخيانة من قِبَل النظام السوري. ما هو دوره الآن؟ إنّه عجوز جداً ليكون زعيم معارضة حقيقي، أليس كذلك؟
ج: حسناً، ليس عجوزاً جداً، لكن وبصراحة ومع الأذ بعين الإعتبار وجهة نظر عدد من السوريين، فإنّ خدام يشكل جزءاً من الحماية القديمة وربما جزءاً من المشكلة. وقد ردّت الحكومة السوريّة على إتهاماته بإتهامات مضادّة عن فساده وإرتكابه أعمالاً محظورة. إلاّ أنّ خدام كان بالتأكيد، متشجعاً بمجموعات سوريّة أخرى معارضة ومنفيّة لضم الجهود. ولا أعتقد أنّ لديه نفوذاً كافياً ومصداقيّة ليكون رأس حربة لأي نوع من أنواع جهود المعارضة الآتية من الخارج، فهو نفسه نوع من البضاعة الفاسدة.

س: إذاً، ما الذي ستقوم به سوريا في الأشهر المقبلة؟
ج: أعتقد أنّ الحكومة السوريّة مزوّدة كثيراً بحسابات ثانية، لجهة أنّ الولايات المتّحدة والمجتمع الدولي محددين بالخيارات التي بإمكانهم القيام بها، وبذلك يستمر السوريون بإثبات الفكرة بأنّ الضغط قد إنتهى ومن أنّ بإمكانهم التصرف والعمل كما يحلو لهم في ذلك الجزء من العالم.

س: أعتقد أنّهم يشاهدون إستطلاعات الرأي في الولايات المتّحدة أيضاً، ويدركون أنّ الموقف السياسي لبوش يضعف. لا أعلم إن كان هذا الأمر يؤثّر عليهم.
ج: إنّي أعتقد أكثر من ذلك. حيث أنّ الشعور المسيطر على الشعب السوري هو أنّ الفوضى في العراق والغموض في لبنان يتم إستغلالهما بشكل فعّال جداً من قِبَل النظام السوري للمساعدة على دفع الشعور بالخوف والغموض عند السوريين. وبكلمات أخرى، إنّ الإستقرار في سوريا هو أقوى وأفضل تحت حكم الرئيس الأسد وحكومته من عدم الإستقرار والفوضى التي يمكن أن تحدث هناك بتغيير ما للنظام.